د . الان دونو نظام التفاهة

ترجمة وتعليق د . مشاعل عبد العزيز الهاجري

لبنان –بيروت–دار سؤال للنشر ٢٠٢٠

عرض : أ.م.و. علي محمد علوان
كلية العلوم السياسية-جامعة النهرين

هل في حكم التاريخ ان تحكمنا التفاهة وتسود ، ، ربما هذا هو التساؤل الاساسي الذي يفترضه الان دونو حينما الف هذا الكتاب ، وحينما ارتضى هذه الفكرة فرضية لكتابه المثيل للجدل ، لقد افترض الان دونو ان مستويات الرداءة والتفاهة قد فاضت على مستويات التقدم والتطور والعقلانية بسيادة التفاهة في كل شيء ،فهي موجات التسطيح وتشابه الشخصيات غياب العقل النقدي دعوي الخبرة الرأسمالية المتوحشة وهم الكاريزما عطب المؤسسات الفساد تسليع الحياة العامة الفن الرخيص اثر التلفزيون التلوث التخريب لإعادة الاعمار العلاقة بين المال والسياسة الحوكمة ثقافة الادارة السطحية ومفرداتها الخالية من المعنى الابتكار التمكين ريادة الاعمال وغيرها كثير .

ان ما يميز طرح الان دونو في كتابه ان التفاهة هنا لا يفترضها على صعيد البعد النظري ولا يرتبط هذا الطرح لديه بأطروحة فكرية يتأملها لواقعنا الحالي ، بقدر ما يجمع هذا الكتاب بين البعد النظري والعملي وهو كثيرا" ما يحيل القارئ الى احداث او مواقف او صيغ ليثبت صدق ما يذهب وصحة ما يقول ، بل يذهب اكثر من ذلك عندما يستعير لمذهب التفاهة مفهوما" ويصيغ له مصطلحا" هو **mediocrity** و يحقبها بفترة حديثة نسبيا" فلم تظهر الا حوالي ١٨٢٥ وهي تعني في هذا الاطار النظام الاجتماعي التي تكون الطبقة المسيطرة فيه هي طبقة الاشخاص التافهين او الذي تتم فيه مكافأة التفاهة والرداءة عوضا" عن الجدية والجودة ، ولربما المنظور السلبي والنقدي ليس بجديد عن الواقع الغربي كتعبير عن فكر حر ومتحرك لا يحجزه شيء في سبيل الوصول الى الحقيقة ، فمن قبل اشار ماركس وندد كثيرا" بوضاعه هذا الواقع وترديه وانه يحمل قدر كبير من الظلم والاجحاف للطبقة العاملة التي لا تأخذ بمقدار ما تبذل من جهد بقدر مايؤول جهدها ونتاج عملها الى ارصدة الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الانتاج ، ولكن بقدر التوصيف والتنديد بشدة الواقع وعظم الجحاف القائم فيه فأن ماركس في ذات الوقت يؤكد بأن مخرجات الظلم قادمة وهي كفيلة بتحطيم اسس وقيم الواقع القائم من خلال ملامح واقع جديد ترسمه الطبقة العاملة التي ستنتفض لحقوقها وتنهي عصر الاستلاب الفكري والقيمي والاجتماعي من خلال الثورة الاشتراكية ، وهو خط فكري لم ينتهي او يتوقف بل استدام واستمر فتارة الرأسمالية المتوحشة وتارة اخرى الدولة التي تغولت بعدما استبدت وقيضت كل ابعاد المؤسسات الاخرى عندما اصبح التوحش سمتها وغياب البعد الانساني هو منطقها الذي يحكم مسارها الفكري والقيمي ، على ان من الغريب ان يأتي هذا التصور بعيد ثورة عظيمه مست كل ابعاد الحياة واعادت رسم صيغها من جديد وهي ثورة الحداثة وما بعد الحداثة وذلك حينما ارتكن الانسان الى اقصى ابعاد الفردية والعقلانية والتقدم وحينما افترضت الثورة التقنية والتكنولوجية كرقم صعب مبشرة ومعممة ان الواقع سيبلغ اعلى درجات التقدم والتطور بعدما سخرت التكنولوجيا ووظف التقدم لخدمة الانسان

الذي ربما اصبح القائد الحقيقي في الكون والزعيم الحقيقي فيه من خلال المسك بأبعاد اللعبة والتحكم بأطرها وهياكلها ، واذا كانت الحداثة ومابعد الحداثة تفترض التقدم والتطور ولكن بطبيعة الحال فأن مسارها هذا لن يخلو من تضحية او غياب او حتى خسارة فكل تقدم له نتائج وكل تطور يفرز تداعيات ، ولكن ان يلفظ واقعنا الان هذه الصيغ ويرسم هذه الابعاد فحقيقة الامر فنحن الان امام واقع غريب ، و اذا تخلو ابعاد الفكر الغربي من طروحات او افكار ربما نقمت على هذا الفكر وانكرت على الواقع افكار او او احداث او سلوكيات ولكن في كل الاحوال فمستوى الاثر والتداعي لن يكون بأن يكون نظام التفاهة هو الذي يقود وقيمه العشوائية هي التي تكون سائدة ، وبدورنا نتسأل عن التكييف الفكري لهذه المرحلة فهل نحن ازاء مرحلة تأريخية تمتد لفترة ما وتبذر الجذور لمرحلة قادمة ، او ازاء ايديولوجية جديدة بعدما جرب العالم نظريات عدة تعددت ابعادها وتباينت طروحاتها ولكن يبقى بعد التطور هو الحاضر كما هو مطروح ، ولكن ل الان دونو رأي اخر وهو يشير في معرض التشخيص ان مرحلتنا هذه السلطة صارت بيد التافهين كما انهم امتدوا الى كل ابعاد الحياة ليقضون على كل شغف ، يقمعون كل احساس بالمخاطرة ، ويمزقون كل فكرة سياسية اصيلة الى مزق صغيرة . واذا كان هو يرسم ملاح العجز ويحدد طبيعه الداء ولكنه بذات الوقت لا يفترض له الدواء وتلك اصعب الحالات الفكرية حينما يمتد الداء ويتنامى وينتشر ولا يجد للايقاف سبيلا او للعلاج طريقا .